أن تنزل عليهم كتابا من السماء وقيل سألوه أن ينزل عليهم كتابا إلى فلان أن يتبعوك بأنك
رسول الله وكان هذا السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله تعالى لا
ينزل الآيات على اقتراح العباد وإن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب
الزيادة من باب التعنت وقوله تعالى فقد سألوا موسى أكبر من ذلك يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد
وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
سؤال تعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد مسألتهم ذلك فإنهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله
لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك وإنما أسند السؤال إلى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله
عليه وسلم وإن وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام لأنهم كانوا على مذهبهم
وراضين بسؤالهم ومشاكلين لهم في التعنت فقالوا يعني أسلاف هؤلاء اليهود أرنا الله جهرة
يعني عيانا والمعنى أرناه نره جهرة وذلك أن السبعين من بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام إلى الجبل
فقالوا ذلك وقد تقدمت القصة في سورة البقرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم يعني بسبب سؤالهم
وظلمهم الرؤية ثم اتخذوا العجل يعني إلها وهم الذين خلفهم موسى مع أخيه هارون حين خرج إلى ميقات
ربه من بعد ما جاءتهم البينات يعني الدلالات الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد
وفلق البحر وغير ذلك من المعجزات الباهرات فعفونا عن ذلك يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم نستأصلهم
عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أن هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد
أن تنزل عليهم كتابا من السماء يطلبونه عنادا ولجاجا فإني قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته
من المعجزات الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد وعبدوا العجل
وكل ذلك يدل على جهلهم وأنهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله فعفونا عن ذلك استدعاء إلى التوبة
والمعنى أن أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا عنهم فتوبوا أنتم نعف عنكم وآتينا موسى
سلطانا مبينا يعني حجة واضحة تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاها الله عز وجل
لموسى عليه السلام قوله عز وجل ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم يعني ورفعنا فوقهم الجبل
المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك أن بني إسرائيل امتنعوا من قبول التوراة والعمل بما فيها فرفع
الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق وقلنا لهم يعني والطور يظلهم
ادخلوا الباب سجدا فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على أستاههم وقلنا لهم لا تعدوا في
السبت يعني وقلنا لهم لا تعتدوا ولا تعدوا يوم السبت الذي حرم الله عليكم فيه وذلك أنهم نهوا عن اصطياد
السمك في يوم السبت فاعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب في يوم السبت
فيتجاوزوا وأخذنا منهم ميثاقا غليظا يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا بأنهم يعملون بما
أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم الله عنه ثم إنهم نقضوا ذلك الميثاق وهو قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم
يعني فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد والمعنى فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بآيات الله
بهم ما فعلنا وقتلهم الأنبياء بغير حق يعني بعد قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم بغير حق يعني
بغير استحقاق لذلك القتل وقولهم قلوبنا غلف يعني ويقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة
فهي لا تفقه ما تقول جمع أغلف وقيل جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا إلى ما تدعونا
إليه فرد الله عليهم بقوله بل طبع الله عليها بكفرهم يعني بل ختم الله على قلوبهم بسبب
كفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا يعني إيمانهم بموسى والتوراة وكفرهم بما سواه من الأنبياء والكتب
وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل هو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود
قوله تعالى وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما يعني حين رموها بالزنى وذلك أنهم
أنكروا قدرة الله تعالى على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو إنكارهم
قدرة الله

قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم إياها بالزنى وإنما صار بهتانا عظيما
لأنه قد ظهر عند ولادة عيسى من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك فلهذا الكذب وصف الله قول اليهود على
مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله إذ عند اليهود
أنهم قتلوا عيسى عليه السلام وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله
وما قتلوه وما صلبوه وفي قوله رسول الله قولان أحدهما أنه من قول اليهود فيكون المعنى أنه رسول الله
على زعمه والقول الثاني أنه من قول الله لا على وجه الحكاية عنهم وذلك أن الله تعالى أبدل ذكرهم في عيسى عليه
السلام القول القبيح بالقول الحسن رفعا لدرجته كما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى ولكن شبه
لهم يعني ألقي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي شبه على اليهود
في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه أنه قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة
عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا عليهم صورهم الله تعالى على صورة عيسى فقالوا لهم
سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشتري منكم نفسه اليوم بالجنة فقال
رجل منهم أنا فخرج إليهم فقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى فأخذوه وقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه
لهم وظنوا أنهم قد قتلوا عيسى وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عز وجل عيسى عليه السلام من يومه
ذلك وفي رواية عن وهب أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه إن أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ليكفرن بي
ويبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا
من أصحاب عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذوا آخر فجحد كذلك فلما أصبح أتى بعض الحواريين إلى اليهود
وكان منافقا فقال ما تجعلون لي إن دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه
عيسى على ذلك المنافق الذي دل عليه فأخذوه وقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه عيسى وقال قتادة ذكر لنا أن أعداء
الله اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر لنا أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه
أيكم يقذف عليه شبهي وله الجنة فإني مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فأخذ ذلك الرجل فقتل وصلب فإنه
ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء وقيل إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا يحفظه فألقى
الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري
وأولى الأقوال بالصواب ما ذكرنا عن وهب بن منبه أن شبه عيسى ألقي على جميع من كان مع عيسى في البيت
حين أحيط به وبهم من غير مسألة عيسى إياهم ذلك ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه
السلام من كل مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلي الله من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل أن يكون الذي
شبهه على بعض أصحابه بعدما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى عليه السلام ولعل ذلك فأخذ وقتل
وصلب وظن أصحابه واليهود أن الذي قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفي أمر عيسى عليهم
وكانت حقيقة ذلك الأمر عند الله تعالى فلذلك قال الله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين
اختلفوا فيه يعني في قتل عيسى وهم اليهود لفي شك منه يعني من قتله وذلك أن اليهود لما قتلوا
ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقي الشبه على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا
إلى جسده فوجدوه غير جسد عيسى فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد جسد غيره وهذا هو اختلافهم فيه
وقيل إن اليهود لما حبسوا عيسى على ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء وفقدوا
صاحبهم فقالوا إن كنا قتلنا المسيح فأين صاحبنا وإن كنا قتلنا صاحبنا فأين المسيح عيسى هذا هو
اختلافهم فيه وقيل إن الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقولون إنه قتل وبعضهم يقولون إنه
رفع إلى السماء فهذا هو اختلافهم فيه قال الله تعالى ما لهم به من علم يعني أنهم قتلوا من قتلوا
على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك القتيل هل هو عيسى أم غيره إلا اتباع الظن يعني
لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم أنه عيسى لا عن علم وحقيقة وما قتلوه يقينا قال ابن عباس